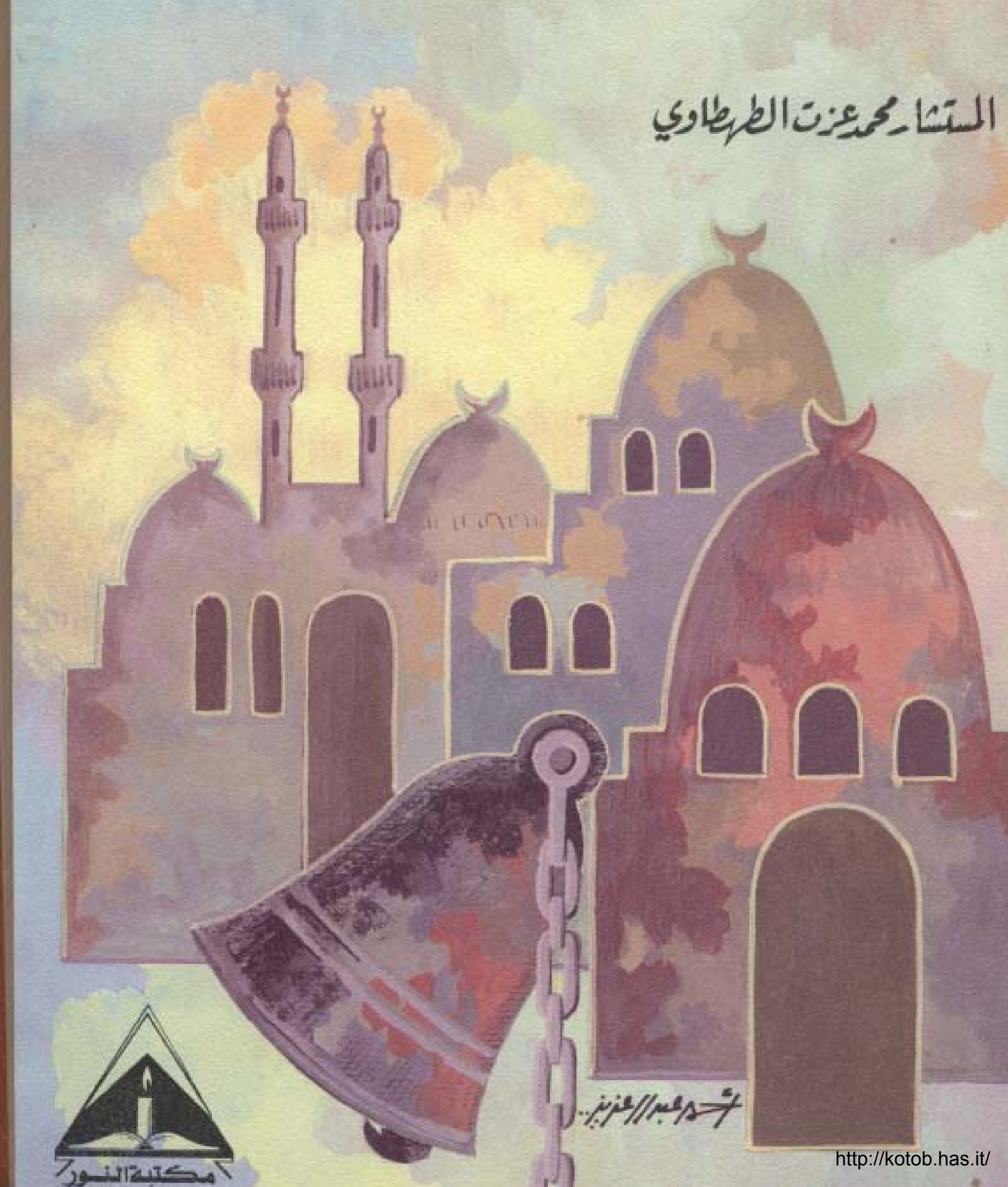
في مقارنة الأديان

النصرانية والإسلام

المستشار محمد عزت الطهطاوي



http://kotob.has.it/

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويكافئهم .

وقد حكى القرآن عن المسيح أنه بشر بنى إسرائيل بنبى الإسلام (١)

« وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٢) .

لذلك يعتقد المسلمون أن اختفاء إنجيل عيسى كان عملا مقصوداً ، لأن إنجيل عيسى قريب الصلة بالقرآن ، كما يعتقدون أن اختفاء هذا الإنجيل مهد للتزيد والحذف والتحريف فى تعاليم الديانة المسيحية ، فانهارت أسسها وضاعت معالمها كديانة سماوية .

ويعتقد المسلمون أن اليهود أرادوا قتل المسيح ، ولكن الله نجاه من القتل والصلب . قال تعالى حاكياً عن اليهود :

« وقولهم إن قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم » (٣) .

ولكن الخلاف بين المسلمين هو : ماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة من الصلب والقتل؟ هل رفع إلى السماء حياً بجسمه وروحه ، أم أنه استوفى أجله على الأرض وهو مختف ثم مات حيث شاء الله .

---

(١) كتاب محمد نبى الاسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن — للمؤلف .

(٢) سورة الصف ٦ .

(٣) سورة النساء ١٥٧ .

http://kotob.has.it/

١ — هناك رأى لبعض العلماء الإسلاميين يقول إن عيسى استوفى أجله على الأرض وهو مختف ثم مات حيث شاء الله ورفعت روحه إلى بارئها .

٢ — وهناك رأى آخر لبعض العلماء المسلمين يرى أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه .

ويدلل أصحاب الرأى الأول بقوله تعالى :

« إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى » (١) فالتوفى هنا الإماتة العادية طبقاً لظاهر الآية ، وأما قوله رافعك إلى فهو رفع الروح ، لأنه يكون بعد الموت .

١ — وقد ذكر ذلك الأستاذ الإمام محمد عبده ، وقد أضاف السيد محمد رشيد رضا دراسة جديدة ، هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، فليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ويحكم فى الأرض ، وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح وفق القرآن الكريم ، ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى أحد من الأنبياء السابقين .

٢ — كما يقرر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أن الأحاديث النبوية المتعلقة بنزول عيسى هى أحاديث آحاد وليست متواترة ، ولم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

كما يقرر بأن أحاديث نزول المسيح إلى الأرض يخشى أن تكون من دس النصارى وكم دسوا فى الإسلام حيث كان يوحنا الدمشقى فى بلاط

---

(١) سورة آل عمران ٥٥ .

http://kotob.has.it/

بنى أمية فى عصر التابعين يؤلف الجماعات السرية التى تدس الآراء والأفكار التى من شأنها أن تفسد عقائد المسلمين .

وأن نص الآية الكريمة « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » صريح فى أنه توفى ، وواضح من قوله تعالى أنه غاب عنهم وأن ذلك الغياب كان بالوفاة ، كما أن قوله تعالى « إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » فسرها الفخر الرازى بقوله : إنى متوفيك أى منهى أجلك ورافعك أى رافع مرتبتك ورافع روحك إلى .

كما أن الألوسى فى كتابه روح المعانى يذكر أن (إنى متوفيك) معناها قابض روحك حتف أنفك ، وأن الرفع فى رافعك هو رفع معنوى ، لذلك فإنه يقول إن نصوص القرآن لا تلزم المسلمين بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وأما أخبار عودة المسيح إلى الأرض فما ورد عنها كان أحاديث آحاد . يريد أن العقائد لا تثبت إلا بالمتواتر وهذه من العقائد فلهذا لابد من النص القرآنى الذى لا يحتمل التأويل أو الحديث المتواتر الذى لا يحتمل التأويل . وأما واقعتا القتل والصلب فإن القرآن نفاهما عن المسيح (١) فى قوله تعالى فى سورة النساء « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وفى قوله تعالى « وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً » (٢) .

٣ — كما قرر الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر السابق أنه ليس فى القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى فى إدريس عليه السلام « واذكر

---

(١) ندوة لواء الإسلام فى بحث (هل رفع المسيح حيا إلى السماء) العدد الرابع السنة ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٨٢ — ٢٥ إبريل سنة ١٩٦٣ .

(٢) سورة النساء ١٥٧—١٥٨ .

http://kotob.has.it/

فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ، ورفعناه مكاناً علياً » (١) فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

وقد ذكر صاحب كتاب (فى ظلال القرآن) عند تفسير الآية المشار إليها. (لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس) .

٤ — ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق :

إن كلمة (توفى) وردت فى القرآن الكريم كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها .

قال تعالى :

« إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك » (٢) .

وقال تعالى :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » (٣) .

وقال تعالى :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » (٤) .

« ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » (٥) .

---

(١) سورة مريم ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) سورة آل عمران ٥٥ .
(٣) سورة السجدة ١١ .
(٤) سورة النساء ٩٧ .
(٥) سورة الأنفال ٥٠ .

http://kotob.has.it/

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء كما يقول البعض ، إن الآية ظاهرة فى تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان، وهم قوم محمد باتفاق(١) . ولم تستعمل كلمة توفى فى غير معنى الموت إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر ، مثال ذلك .

قوله تعالى :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » (٢) .

أما آية سورة النساء فى قوله تعالى « بل رفعه الله إليه » فإنها رفع المكانة لا رفع الجسد ،وخصوصاً أنه قد جاء بجانب الرفع قوله « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم ، وقد جاء الرفع فى القرآن الكريم كثيراً بهذا المعنى مثل قوله تعالى « فى بيوت أذن الله أن ترفع » ومثل قوله « ورفعنا لك ذكرك » ومثل قوله « ورفعناه مكانا علياً » .

وخلاصة القول :

أنه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه حى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض ، وأن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه سيوفيه أجله ويرفعه إليه ويعصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق ، فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ، ورفعه إليه (أى رفع روحه إليه) .

٥ — ويقول الأستاذ محمد الغزالى : إنه خير لنا أن نرى الرأى الذى يقول إن المسيح عيسى ابن مريم مات وأنه انتهى ، وأنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط ، حياة الكرامة وحياة رفعة الدرجة . وكما يقول

---

(١) الفتاوى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق رحمه الله .
(٢) سورة الزمر ٤٢ .

http://kotob.has.it

الإمام ابن حزم الأندلسى وهو من فقهاء الظاهر : إن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، فعبارة الوفاة فى الآيات الخاصة بالمسيح بالنسبة إليه وإلى والدته لا تفيد إلا الوفاة وهى الموت ، لأنهما بشر ينطبق عليهما ما ينطبق على سائر البشر ، طبقاً لما حكاه الله عنه وعن والدته فى سورة المائدة « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » . فهو كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ،وإن جسمه فى مصيره كأجساد الرسل والأنبياء كلها ، تنطبق عليه الآيات الكريمة « إنك ميت وإنهم ميتون » .

وأما عودة المسيح فكما يقول ابن حزم أيضاً ،أنه سيعود . وإن هذه العودة إلى الأرض هى خلق جديد ، وعلة عودته أنه يكذب بنفسه الشائعات التى دارت حول مقتله وحول أنه كفارة للخطايا التى يقترفها الخلق .

٦ — ويقول الأستاذ عبد الرحيم فودة إن مسألة الرفع لا ثمرة من النقاش والجدل فيها ، لأن المسيح إن كان قد مات أو أنه سيموت فلا دخل لشىء من هذا فى عقيدة المسلم ، وعيسى أولا وأخيراً لم يكن إلا عبداً لله « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »

٧ — ويقول الأستاذ حسنى الزرمزمى : إنه يميل إلى القول بأنه ليس فى القرآن نص يثبت أن عيسى ينزل من السماء ويحكم فى الأرض ، لأن عيسى إذا نزل من السماء ليحكم على شريعة محمد فهل معنى ذلك أنه نسخ كرسول وألغيت رسالته ؟ وإذا نزل بشريعته هو فهل يمكن أن يعقل هذا بعد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لا شريعة بعدها . وما ورد فى الرفع إنما هو أحاديث آحاد ، وهى لا تفيد العقيدة ، ومسألة صلاح العالم إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلحه فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أحد من الأنبياء .

http://kotob.has.it/

٨ — ويقول الأستاذ أمين عز العرب أنه لا يستطيع أن يفهم الحكمة فى نزول عيسى مرة أخرى ، وإن أحاديث النزول أحاديث آحاد لأنه ليس ثمة نص صريح وجازم فى ذلك (١) .

أما أصحاب الرأى الثانى : فهم يرون أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه وأنه ينزل آخر الزمان قبل فناء العالم ، حاكما بالشريعة الإسلامية ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويقتل الدجال ، ولا يقبل من أحد ديناً سوى دين الإسلام ، ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث ، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه ، ويستدلون على ذلك بالأحاديث الآتيـــة :

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه :

(والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة : (واقرأوا إنشئتم : وإنمن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)(٢) .

٢ — روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) .

٣ — روى أبو هريرة رضى الله عنه حديثاً ثالثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير

(١) ندوة لواء الإسلام فى بحث هل رفع المسيح حيا إلى السماء — العدد الرابع السنة السابعة عشرة ذو الحجة سنة ١٣٨٢ ، ٢٥ أبريل سنة ١٩٦٣ .

(٢) سورة النساء ١٥٩ .

http://kotob.has.it/